المقدمة

بقلم : المؤلّف

عزيزي القارئ إليك هذا الديوان الذي سميته" دليل مناهج بعض المجاهل في الأدب والمداهل والمناهل "وأمل أن يكون دالاً على ما يدل عليه اسمه،كما يقال:" المكتوب يعرف من عنوانه" فقد اجتهدت بكل ما استطعت أن أجعل من هذا المؤلف دليلاً يشرح ما غمض فهمه من بعض المسائل التي نتداولها كتراث، انتقل إلينا من الأسلاف، ولكنه لم يستوفِ حقه من الشرح والتعليل من قبل بعض الكتاب والرواة، ومن ذلك طرح بعض الأشعار التي تحتاج إلى مزيدٍ من الشرح والتوضيح، وبعض الأماكن التي يرد ذكرها في كثيرٍ من الأشعار القديمة،وهي غير معروفة بهذا العصر بهذا الاسم الذي وردت به، أو معروفة به حالياً ولكن لا يدرى أهي المقصودة أم غيرها، وذلك لاختلاف صيغ التعبير، ومدلول المفردات التي تكتب عنها،والمفردات التي تعرف بها في عصرنا الحالي،مع اختلاف في مفهوم الأشعار التي تعتبر سجلاً تأريخي لحياة الأمم عبر الأزمان المتعاقبة،والتي يعرف من خلالها الكثير عن حياة أهل عصر كل شاعر،كأسماء الأماكن وأصحابها،ومريئها و وخيمها،والمناهل وعذبها ومالحها، والمنازل ونوعها، ووسائل الركوب، ووسائل النقل، والهوايات التي يمارسونها،والأمنيات التي يطلبون أن تقدر لهم في عصورهم، وكثيراً مما يجسد أفعالهم ومعتقداتهم، وإلى ما هو غير ذلك من أمورٍ سياسية أو حربية أو ظروف مناخية وبيئية، فعند ما ننظر إلى أشعارهم نجدهم قد تطرقوا بها إلى جميع الأغراض الشعرية، التي تحاكي حياتهم وما يطرأ عليها من ظروف وتغيرات. وبما أن بعض الأشعار الفصيحة تعني أموراً لم تغير من عصرٍ إلى عصر، وتدل على تداول الشعر قديماً الذي لا يختلف عن تداوله حديثاً فقد ضمنت هذا الديوان بهذه الأشعار الفصيحة، والأمثال العربية الفصيحة، بغية زيادة توضيح المعاني، التي قد لا يستطيع البعض تقريبها من بعضها لما بينها من تشابه، وتناقض وقرب وبعد، واختلاف في الأغراض والظروف، والقيم الإنسانية، والأخلاق و الآراء في أغلب الأحيان بين الخلق، للاستفادة بأكبر قدراً منها إن شاء الله.

فدعني عزيزي القارئ أحدثك عن الشعر الذي هو العنصر الأساسي في مجال التأليف،حيث أي موضوعٍ ليس فيه شعرٌ تقل قيمته أو لا يكون له أهمية مطلقاً، وهل حفظت القصص التي لم يقل فيها شعرٌ ؟ . الشعر مأخوذاً من الشعور وهو الإحساس، فالشعر سمي بهذا الاسم لأنه يشعر السامع والمتذوق لمعانيه بما يحمله من صورةٍ للكلام تؤثر على الوجدان، فتجعله يستيقظ لاستيعاب المراد ذكره، والكلام عنه، بشكلٍ أكثر فهماً وقبولاً وتفاعلاً، وذلك لأن الشعر كلام موزون على تجانس لفظي،يٍ عطي الكلام تناغماً وتناسقاً، وموسيقى منسجمة متناسقةً، مما يكسب الكلام تأثيراً عاطفي، وتنشيط وإنعاش للضمير من الكبت والانطواء، فيجعل الغامض ظاهراً، والعالي ساقطاً، والوضيع رفيعاً، والرفيع وضيعاً، ويعلق

بالنفوس علوق النار بالهشيم، ويسمعه القريب والبعيد، وتداوله الأجيال عبر العصور المتتالية إلى سرمدٍ مديد، وللشعر مراتب من التأثير والجودة، وذلك يعود إلى شاعرية شاعره ومدى ثقافته واطلاعه، واهتمامه بصناعة الشعر وبلاغته.

أعذب الشعر أكذبه

كما أن للشعر خاصية تمنحه التفضيل على ما سواه من الكلام، في حين لا مجال لذكر الكلام الذي ليس شعر، ذلك لتذوق الشعر والترويح عن النفس في موسيقيته وأحاسيسه المنبعثة من مكامنها على أنغامه، وغرابة ما يصفه،وذلك انه يقول ما لا يقال في الكلام العادي، وانه يجعل من الصفات الذميمة صفات ممدوحة، ومن العيب شرف،ولهذا قيل: " أعذب الشعر أكذبه"وذلك لأنه يرفع قدر صاحبه وأن كان وضيعاً،ويجعل له حجةً عند ما يكون مقطوع الحجة، وإن كان ذلك مقصوراً على تحكيم العقل، وإدراك ما ينفع ومالا ينفع، إلا أن الشعر، لا يقف عند حدٍ معين، من حدود الأمور الحياتية، وهو ليس سواء تمثيلاً في أغلب مقاصده ومغازيه، لأمورٍ متعددة منها الواقعية، ومنها الخيالية، التي تعرف بالعقل، لا بالتجربة والعادة، وإنما يقبلها العقل لكونها شعراً، لا من أهدافه التي منها ما لا يتجاوز تحريك المشاعر ودغدغة الوجدان،فمن أكذب الشعر الذي ربما يكون من أعذبه عند بعض من يتلقاه ويتذوقه،ما يصور لقائله حجة يدافع بها عما يتصف به من صفات ممقوتة في نظر المجتمع المحيط به،وينقله من كونه مجهولاً خامل الذكر إلى مشهوراً شائع الصيت،حتى ولو اختلق عذره مما يعاب على فعله
غيره،أما هو فلا يعاب عليه لأنه شاعراً يصور الأمور بخياله،وتصوراته،ولا من النظر إلى شعره من منظور التصديق والاقتداء ،بل من منطلق النظر إلى كون شعره إلزام ما لا يلزم وقول ما لا يقال،لكونه شعراً يعتمد فيه على الخيال والتصوير،أعطى النفس مخرجاً في حرية الكلام بلونٍ من الكذب الأبيض أو الذي أزره على قائله، كما يرى ذلك البعض، مما يخشى أن يجر إلى استجواز ما هو أغلظ من ذلك أزراً،وهذا لا يصدر عن إنسان يتمتع بمنزلةٍ محترمة بين الناس.وكان عليه أن يضع نفسه موضعاً حسناً،ليرضى المجتمع عن سلوكه و أخلاقه بأفعاله وأقواله لا بأقواله فقط.

من أخطاء الرواة

كما لا ننسى أن للشعر معاني قد توضع بغير موضعها الصحيح،كما هي الحال في بعض الأخطاء التي ذكرتها في باب المنوعات من هذا الكتاب،ومن هذه الأخطاء على سبيل المثال،قول الشاعر محمد القاضي :

لا يفتخر من جاد جده وخاله هي بالهمم لا بالرمم مثل ما قال
الجمر يمسي كالخلاص اشتعاله ويصبح هميدٍ خامدٍ هامدٍ بال

والذي وجدت أحد الأدباء قد قال عنه،بعد ما أورده،المعنى:"يقول في البيت الأول لا يحق للمرء أن يفاخر بنسبه لا من ناحية أبيه وجده،ولا من ناحية أخواله،لأن

هذه الأمور لا أهمية لها وإنما الأهمية والاحترام للرجل العصامي " ٠ والصحيح إن المعنى : إن الشاعر يشير للمثل القائل : " النار لا تخلّف إلا السماد " وهو مثلٌ يضرب في ممن كان أبوه طيّب ، وهو خائب ، فيقول لا تكون أيّها الشاب ممن يقال عنهم هذا المثل ، بل كن كأجدادك،فإن طيب أجدادك لا يفيدك شيئاً ولا يعزك بين الناس،وإنما الذي يجب أن تفتخر به وتعتز به هو أفعالك،أما أفعال السلف فليس كافئةً للمرء وحدها أن يفتخر بها٠ فالقول للفتى كان أبي طيباً،لا يقلل من قيمة الفتى وليس به عيبٌ عليه،ولكن المقصود أن النافع للفتى عند الناس فعل الفتى نفسه،لا فعل أبيه،وكذلك إن ما يجب أن يفتخر به الفتى لأنه يعود عليه بالنفع هو فعله لا فعل أبيه،أما فعل أبيه إذا كان غير مرغوبٍ فيه لتفاهة أفعاله،فلا يفيده٠ ولنعرف مثل هذه المعاني علينا إن ننظر للقصيدة،أهي نصح أم هجاء،أم غيره،فإذا كانت نصح وإرشاد وحث على الأفعال الحميدة،كقصيدة القاضي،فكيف نظن إن ينهى عن ذكر محاسن الأموات،وينصح بعدم الافتخار،بأفعالهم،ولكن ذلك هو المقصود من شعره،لكان يقصد إن علينا أن نترك أفعال من سبقونا من الأباء،ونعتبره لا يفيدنا،وبهذا يكون هو نفسه من المقصودين،فكيف يريد منّا أن نعتبر شعره،وهو من الرمم،بل علينا إن نعتبر ما نراه،لا ما يراه الأسلاف،وهذا تفسيراً غير صحيح٠

وهذا الأديب الذي قلت إنه يعتبر قول القاضي نهياً عن الافتخار بأفعال الرمم،وحصر الفخر بما يفعله المرء نفسه فقط،أتى أيضا بدليل آخر يقول إنه عكس ما قاله القاضي،وهو قول الشاعر محمد العوني الآتي مثلاً،وهو قوله من قصيدةٍ له ألفية :

الجيم جنب عن رديّ الطماعه وصادق صديقٍ لك ترى به شجاعه
ترى رديّ الخال ما به بتاعه وتراك من عز المباري تعزّا

فيقول المعنى:"ان من كان خاله جبانا لا يمكن أن يكون شجاعا،على عكس نظرية القاضي٠ يعني:إن القاضي يعنى إن المرء قد يكون شجاعاً،حتى وإن كان خاله جبانا،والعوني عكسه"٠ بينما الاثنين على معنى واحد،وليس بينهما اختلاف بالآراء،وإنما القاضي يبني معانيه على أمثال وقصائد قديمة،هي مثل "النار لا تخلّف إلا السماد"وهو الدارج بين الناس،ويفسر ذلك قول الشاعر أيضا:

الولد لا طاب طيبه من خواله وإن تردّا قيل جا للخايبيني

أي ينسب طيب أو رداء الولد إلى أخواله،فيقول القاضي،لا تدع نفس رديئاً إذا كان أخوالك أردياء،كما في الأمثال،وكذلك فإن طيب أخوالك أو أبيك ،لا يفيدك شيئاً عند الناس،إذا كنت أنت غير طيّب٠

ويقول إن مثل القاضي،قول الشاعر:

موت الفتى دون المعزه والأموال من فوق قباءٍ واردٍ كالنداوي
في ساعةٍ يثني بها عرب الأخوال وينير بها الخايب بناخي الشواوي
أخير من صبرٍ على غبن وإذلال اليا عاد موت الكل بأمرٍ سماوي

محمود الأدب

واستشهد أيضا بالبيت العربي:

إن الفتى من يقول ها أنا ذا فليس الفتى من يقول كان أبي

وهذا احتمال وارد،كما جاء في الحديث النبوي الشريف:"اختاروا لنطفكم،فإن الخال أحد الجضيعين" والحث على ذلك،من باب الحث على الأفعال الحميدة،وذمّ الأردياء ذمّاً غير مباشر غالباً،احتقارا لفعالهم المشينة،يقولون هذه الأقوال حثاً على الفضيلة،وتنفيراً من الرذيلة . والبيت الفصيح السابق،لا يعني الأفعال دون العلم،بل يعني النصح بتعلّم الأدب،وهو تعلّم العلوم النافعة،والمعارف عموماً،مثل معرفة اللغة،وأساليب الكلام،التي يستطيع بها صاحبها اتخاذ أفضل أساليب الكلام المفيدة،ودليل هذا البيت بيتٌ قبله،هكذا:

كن ابن من شئتَ واكتسب أدبا يغنيك محموده عن النسبِ

إن الفتى من يقول ها أنا ذا فليس الفتى من يقول كان أبي

فهو يقول متى وجدت أديباً،فلن ينظر إلى نسبك،وهذا يعني أن النسب أي الأفعال الحميدة للأهل مهمة في حياة الناس،ولولا ذلك لم يقل يغنيك عن النسب . ولكنّه يحث على الأدب والذي من معانيه التحرّز من الوقوع في الخَطَل،وهو الخطاء في المنطق،الذي قد يؤدي بحياة مرتكبه،ودليل ذلك،قول الشاعر العربي :"أصالة الرأي صانتني عن الخطلِ" أي جودة الرأي وهو ما اعتقده الإنسان وأرتآه،والإصابة في التدبير .

الحث على اختيار الأنسب

ومن النصائح المأثورة في هذا المجال،وهو الحث على النظر في المنشأ الحسن،واختيار النسب الصالح،قبل الزواج،قول الرسول(ص):"اختاروا لنطفكم،فإن الخال أحد الضجيعين"،وقوله:"**إياكم وخضراء الدمن**"وهي كناية عن المرأة حسناء المنظر قبيحة المخبر،وكما في بعض الأبيات السابقة كأبيات العوني،في اختيار الصديق الأفضل،وغيرها،وقول حادي الخيل:

عرّب وليدك عرّبه النار من مقباسها

العز ببطون النسا اللي عريبٍ ساسها

وبنت الردي لا تعجبك لو هي طويلٍ راسها

وبيتي الشعر العربي الفصيح الآتي:

لا يغرنّك من خطيبٍ خطبةٌ حتى يكون مع الكلام أصيلا

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسانُ على الفؤاد دليلا

فهو يقول أن أصالة المرء أثبت لتصديقه من أقواله التي مرجعها قلبه والقلب يتقلّب،أما الأصالة وهي ما قدّمه المرء من عملاً صالحاً،أو ما يعتز به من شرف الأباء ومزاياهم الكريمة،فهي شاهد للأقوال التي لا يدعمها شرف أصل،ولا صالح

عمل،والتي قد تكون نوع من السفسطة(١).وحتى لا أكون مخطئا لبعض الرواة الذين قد يجدون ببعض الأقوال من الأشعارٍ أو الأمثال نوعاً من الاختلاف في الآراء،فأقول إن التناقض بين الأقوال،موجود في كثير من المجالات،وإن لم يكن بين الشاعرين الذين سبق ذكرهما اختلاف إلا أن هناك الكثير من المتناقضات في الأقوال،وخصوصاً في مجال أصالة النسب،أو عكسها،فلو رأينا ما يذهب إليه شعراءنا لفهمنا ما المقصود منه،فهم يتطرقون إلى مدح الأفعال الحميدة،ويعدونها أصالة،ولا يقصدون بأقوالهم الأَصل المقصود به معرفة أب القبيلة أو عدم معرفته،كالذي يسمع من عامة الناس عن أن هذه القبيلة أصيلة وتلك غير أصيلة،والذي ليس من موضوعنا بشيء،ومن العيب كل العيب أن نتطرق إليه (٢)،وإنما المقصود بكلامنا هنا هو كلام الموهبة الشعرية أو الأدبية الذي يخرج أصحابه فيه على المألوف أحياناً،بشيءٍ من التنافس وإيراد الحجج الدامغة،التي تودي أحياناً إلى تقريب وجهات النظر،فيما بين من اختلفوا بين أمرين،وإيجاد عذر عند تعذّر العذر،وهو ما يسمّى بـ"أعذب الشعر أكذبه"،أو التغاير في الأقوال،مثل إن يمدح الشاعر من سبه في الأمس،أو يسب من مدحه. ومن ذلك مدح من أجمع الناس على ذمه،بأسلوبٍ شعري أو أدبي،فقد استشهد بعض الأدباء على ذلك بقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الدنيا : إنما الدنيا دارُ صدقٍ لمن صدقها ودارُعافية لمن فهم عنها،ودارغنى لمن تزوّد منها،ودارُعظةٍ لمن اتعظ بها.أجمع الناس على ذم الدنيا غير أن الإمام علي يمدحها عند من يستطيع الانتفاع فيها.ومن الأقوال التي تعتبر أكثر شمولاً ووضوحاً،وأوفى معنى وأغزر حكمة،قول الشاعر معروف الرصافي:

وشرّ الناس ذوو خمولٍ إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا
وخير الناس ذو حسبٍ قديمٍ أضاف لنفسه حسباً جديدا (٣)

ومن الأقوال التي تمجّد الأباء:

لنا والدٌ لو كان للناس مثلهُ أبٌ آخر اغناهم بالمناقب

---

١ **السفسطة**:الاستدلال والقياس الباطل أو الذي يُقصد به تمويه الحقائق.

٢ يروى أن **زيد** بن **علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب** ،دخل على **هشام** بن عبد الملك،فقال له هشام:بلغني أنك تحدث نفسك بالخلافة،وأنت لا تصلح لها،لأنك ابن أَمَة.فأجابه زيد هادئاً:أما قولك إنني أحدثُ نفسي بالخلافة،فلا يعلم الغيب إلا الله،أما قولك إنني ابن أَمَة،**فإسماعيل** عليه السلام ابن أَمَة،أخرج الله من صلبه خير البشر،**محمد** (ص)،و**إسحاق** ابن حرّة،أخرج الله من صلبه **يعقوب**،ومن يعقوب أخرج الله **بني إسرائيل**،يحملون شرور العالم إلى يوم القيامة.انظرقصة **ابن بحير** و**وطبان الدويش** ، بعنوان "طرفة "، في باب الخيل ، من هذا الديوان ،والتي منها قول **ابن بحير**:

الطيب أخذته غصب من غير منّه والأصل ما ينفع على خامد الريح

٣ **الحَسَب** : شرف الأصل وما تعدّه من مفاخر آبائك.

فهو يقول لنا أبٌ،لو كان للناس أبٌ مثله لأغناهم بالفعال الكريمة،والمفاخر،والخصال الحميدة،والأخلاق الجميلة التي عُرف بها . وأما معنى قولي الموهبة الأدبية فأعني كقول الشاعر العربي:كن ابن من شئت واكتسب أدباً،أو قول الآخر:أصالة الرأي صانتني من الخطل،أو كما تصرّف الحجاج بوصف نفسه،ليُرى مناسباً للمسؤولية المطلوبة،عندما قال الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان:هل من ممهد لأهل العراق بسيفٍ قاطع،وذهنٍ جامع،وقلبٍ ذكي،وانفٍ حمي،فيخمد نيرانها،ويردع غيلانها(٤)،وينصف مظلومها،ويداوي الجرح،حتى يندمل،فتصفو البلاد،وتأمن العباد،فسكت القوم،ولم يتكلم أحد فقام الحجاج،وقال:يا أمير المؤمنين،أنا للعراق . قال:من أنت لله أبوك (٥)؟ . قال:أنا الليث الضمضام(٦)،والهزبر الهشام(٧)،أنا الحجاج بن يوسف . قال:ومن أين ؟ . قال:من ثقيف،كهوف الضيف،ومستعملوا السيف . قال:اجلس،لا أم لك،فلستَ هناك(٨)،ثم قال ما لي أرى الرؤوس مطرقة؟ والألسن معتقلة؟! فلم يجبه أحد . فقام الحجاج،وقال:أنا مجندل الفساق،ومطفئ نار النفاق . قال عبد الملك:ومن أنت ؟قال الحجاج:أنا قاصم الظلمة،ومعدن الحكمة،الحجاج بن يوسف ،معدن العفو،والعقوبة،وآفة الكفر والريبة . قال عبد الملك:إليك عني،وذاك فلستَ هناك،ثم قال:من للعراق؟ . فسكت القوم،وقام الحجاج،وقال:أنا للعراق . فقال:إذن أظنك صاحبها،والظافر بغنائمها، . . إلى آخر ما للحجاج من كلامٍ يدل على حسن التصرّف،وقوة الحجة،وبليغ الحكمة . كما أننا نلاحظ هذه المرئيات التي تشبه المتناقضة حتى في المذاهب الأدبية عند الدول المتقدمة كفرنسا،مثل مذهب الإبداعية التي حمل لوائها شباب ذوو أفكار سطحية،وهم من الطبقة المتوسطة (البرجوازية) ضد الطبقة العالية (الأرستقراطية)، تحتقرها وتتشفى منها(لأنها لا تستطيع الوصول إلى مستواها)،فكان هدفها أن تقضي على كل ما ينتمي إلى المرحلة الماضية،ومنها خصائص الأدب . فهي عكس الاتباعية(٩) . وأدب

---

٤ **غيلانها**:يعني به:الشر،والحقد الباطن،والخديعة،والقتل غيلةً أي خديعة .

٥ **لله أبوك**: لله الفضل و المعروف لإحسانه بأبيك .

٦ **الضمام**:الأسد الجريء .

٧ **الهزبر**:الأسد . **الهشّام**:شديد الهشم،أي قوي الدق،والتفتيت للعظام .

٨ **لا أم لك**:بمعنى لا راحم لك . لستَ هناك:ما أنت متكأفئاً مع من هناك بالفعل .

٩ **الاتباعية** : مذهب أدبيّ وضعت خصائصه المدرسة الأدبية في القرن السابع عشر وحتى الثامن عشر، في فرنسا وانتشرت في أوربا ، نشأت عن عوامل وظروف اجتماعية عامة ، مثلها الأعلى الأدب اليوناني . من أهدافها أنها تعبّر عن أفكار طبقة الأشراف أو الطبقة العالية (الأرستقراطية) ، والتي من خصائصها أن ساد الاستقرار السياسي والاقتصادي، وتحكيم العقل ، ومحاكاة الحكمة والشرف والواجب والصدق والوفاء . فيرون أن العقل يمسك بلجام العاطفة ويكبحها ، ويدل على ما يحاكى به القدماء ، فليس كل ما لديهم يُقلّد . وضعت أسس دون غيرها لكلٍّ من أشكال الأدب شعراً،أو قصةً ،أو مسرحية،أو غير ذلك،عماد هذه الأسس ما سبق الإشارة إليه من أهدافها .

ذاتي لا موضوعي. حرّرت الشعر من قيود القافية. قيل أنه لم يبق من أثر الإبداعية في الأدب العربي اليوم سواء مسحة غنائية. وتتمثل الإبداعية بأخذ موضوعاتها من الواقع على غير أساسٍ واضح ،تحدث عن ظلم التقاليد للإنسان المظلوم،وتطالب بنوعٍ من الاشتراكية والتمرد على الواقع،ومن شعاراتها :الحرية،والمساواة ، والعدالة ،فلم تلبث أن فشلت وسقط